المصدر الثاني — السنة الدراسية 2015–2014

نصّ الفرض

المستوى: الرابعة آدابا 1+2 — **السنة الدراسية:** 2015–2014.

عنوان الورقة: فرض مراقبة رقم 1 في الأدب — فرض عادي عدد 1.

التمهيد والمطلع

هذا النص مقتطف من مطوّلة شهيرة لابن هانئ في مدح المعز، ومطلعها:

ما شئتَ لا ما شاءت الأقدارُ ـ فاحكمْ فأنتَ الواحدُ القهّارُ

من البحر الكامل.

النصّ

هذا إمام المتقين ومن به ـ قد دوّخ الطغيان والكفّارُ

هذا الذي تُرجى النجاة به ـ وبه يُحطّ الإصرُ والأوزارُ

هذا الذي تُجدى شفاعته غداً ـ حقّاً وتخمد أن تراه النارُ

إن تخبُ نار الحرب فهو بفتكه ـ ميقادها مضرامها المغوارُ

فأداته فضفاضةٌ وتريكةٌ ـ ومثقّفٌ ومهندٌ بتّارُ

أسدٌ إذا زارتْ وجارَ ثعالبٍ ـ ما إن لها إلا القلوبُ وجارُ

حفّوا برايات المعزّ ومن به ـ تستبشر الأملاك والأقطارُ

هل للدمستق بعد ذلك رجعةٌ ـ قضيتَ بسيفك منهم الأوتارُ

أضحوا حصيداً خامدين وأقفرتْ ـ عرصاتهم وتعطّلت آثارُ

كانت جناناً أرضهم معروشةً ـ فأصابها من جيشه إعصارُ

أمعز دين الله إن زماننا ـ بك فيه بأو جل واستكبارُ

ها إن مصر غداة صرت قطينها ـ أُخرى لتحسدها بك الأقطارُ

المرجع: ابن هانئ، **الديوان**، الصفحات 181–186.

شرح المفردات والإحالات

- الإصر: الذنب؛ أداته: مجمل السلاح؛ فضفاضة: الدرع؛ تريكة: الخوذة؛ مثقّف: الرمح؛ وجار: المسكن.
- الدمستق: قائد جيش الروم؛ عرصاتهم: الساحات؛ آثار: الأفعال؛ بأوّ: الكبر والفخر.
- «جعلناهم حصيداً خامدين»: سورة الأنبياء، الآية 15. وترد كذلك إحالة إلى سورة البقرة، الآية 266، وسورة القلم من الآية 17 إلى الآية 32.

الأسئلة

حلّل النصّ تحليلاً مسترسلاً مستعيناً بما يلي:

١. للإيقاع والتصوير الشعري في القصيدة وظائف متنوعة في الإبانة عن معاني الحماسة. بيّن ذلك.

٢. مزج الشاعر في رسمه لصورة المعز بين البعدين الديني والعسكري. ما دلالة ذلك؟

٣. راوح الشاعر بين إعلاء المعز وجيشه وتقزيم العدو. وضّح معالم هذه المراوحة.

٤. لم يخلُ النصّ من مظاهر الغلو والتهويل. فما مدى إسهام هذه الظاهرة في جودة النصّ؟

الموضوع الإنشائي

لئن حرص شعراء الحماسة على نسج الصور الشعرية وتنغيم القصائد بما يناسب مقام القول فإن قصائدهم كانت عبثاً بالتاريخ وتغنّياً ببطولة زائفة. حلّل هذا القول وأبدِ رأيك فيه معتمداً شواهد دقيقة.

الإصلاح الشامل للمصدر الثاني

مدخل وتقسيم

يقدّم ابن هانئ صورةً للمعز تجمع بين رفعة دينية متصلة بالتقوى والنجاة والشفاعة، وقوة عسكرية تتجلى في السلاح والجيش وإخضاع العدو. ويتدرج المقطع من تثبيت منزلة الممدوح، إلى عرض أدوات الحرب، ثم إلى تصوير انكسار الخصم، وينتهي بتمجيد مكانة المعز ومصر في زمنه. ويمكن تقسيم الأبيات إلى: ١–٣ للتعظيم الديني؛ ٤–٦ للسلاح والقتال؛ ٧–١٠ للنصر وإذلال العدو؛ ١١–١٢ لتوكيد رفعة الزمن والمكان بالممدوح.

١. وظائف الإيقاع والتصوير في الإبانة عن الحماسة

الإيقاع الخارجي: صرّحت الورقة بأن المطلع من الكامل. وينتظم المقطع على رويّ الراء المضمومة، مسبوقاً غالباً بألف المد، في ألفاظ مثل «الكفّار، الأوزار، النار، المغوار، بتّار، وجار، الأقطار، الأوتار، آثار، إعصار، استكبار». يحقّق توحيد القافية تماسكاً سمعياً، ويمنح الخطاب جرساً احتفالياً يناسب المديح والحماسة.

الإيقاع الداخلي: يكرّر الشاعر اسم الإشارة «هذا» في الأبيات الثلاثة الأولى، فيلحّ على حضور الممدوح وتعظيمه. كما تتوالى ألفاظ السلاح والحرب، مثل «نار الحرب»، و«فتكه»، و«أداته»، و«مثقّف»، و«مهند»، و«سيفك»، فتكوّن معجماً قتالياً يسرّع الإيقاع الدلالي. ويأتي توازي الشطرين وتكرار أواخر الأبيات ليحفظ وحدة النبرة.

التصوير: في البيت الرابع تتحول الحرب إلى نار لها «ميقاد» و«مضرام»؛ ويصوّر المعز نفسه من يشعلها أو يمدّها بفتكه. وفي البيت الخامس تُذكر أدوات الحرب على سبيل التعداد، من الدرع والخوذة إلى الرمح والسيف، فيُستحضر المقاتل مسلحاً من مختلف الجهات. ويقابل البيت السادس بين «أسد» و«ثعالب»، فيرفع الممدوح ورجاله إلى الشجاعة، ويجعل خصومهم في صورة الجبن والضعف. وفي البيت التاسع استعارة «حصيداً خامدين» التي تصوّر المهزومين زرعاً حُصد، بينما تحول صورة «الإعصار» في البيت العاشر أثر الجيش إلى قوة طبيعية جارفة. كما يشخّص الشاعر الأسلحة فيجعلها تحمد الممدوح، ويبالغ في سجود القبائل له.

تخدم هذه العناصر الحماسة لأنها لا تكتفي بإخبار القارئ بوقوع النصر، بل تجعله يراه ويسمع إيقاعه، وتضخم رهبة البطل وسرعة انكسار عدوه. وتظل المبالغة جزءاً من بناء الصورة الفنية، لا مقياساً حرفياً لعدد القتلى أو مقدار الدمار.

٢. دلالة امتزاج البعدين الديني والعسكري

يتجلى البعد الديني في «إمام المتقين»، وفي رجاء النجاة والشفاعة، وفي صورة تخميد النار. أما البعد العسكري فيظهر في «نار الحرب»، و«فتكه»، وتعداد الدرع والخوذة والرمح والسيف، وفي ذكر الجيش والرايات وهزيمة العدو. يجعل الشاعر المعزّ قائداً ذا مكانة روحية وسياسية، ويمنح نصره معنى يتجاوز التفوق الميداني إلى استعادة النظام والطمأنينة في تصور القصيدة.

ويزيد هذا المزج خطاب المديح قوة؛ فالممدوح لا يُعرض محارباً فحسب، بل يُجعل جامعاً للتقوى والقوة، وتُرفع منزلته في نفس المتلقي. لكن يجب قراءة صور الشفاعة والنجاة ضمن المبالغة الشعرية ومقام المدح، لا بوصفها تقريراً عقدياً مستقلاً أو حكماً دينياً.

٣. المراوحة بين إعلاء المعز وتقزيم العدو

يعلي الشاعر المعزّ بتكرار «هذا» وبالأوصاف الدينية، ثم يبرز بأسه في «فهو بفتكه» و«سيفك». ويجعل أثر وجوده ممتداً إلى «الأملاك والأقطار» وإلى رفعة مصر، فيتحول الممدوح إلى مركز تتجمع حوله مظاهر النصر والبهجة.

وفي المقابل، يقلّص صورة العدو: يقابله بالثعالب إزاء الأسد، ويسأل سؤالاً استنكارياً «هل للدمستق بعد ذلك رجعة؟»، ثم يصوره «حصيداً خامدين»، ويصف ساحاته بأنها أقفرت وآثاره تعطلت. ويقابل بين الأرض التي كانت «جناناً» والأرض التي أصابها الإعصار. ويُنشئ هذا التوازي قطبين واضحين: معزّاً فاعلاً منتصراً وجيشاً تحيط به الرايات، وعدواً مفعولاً به منهزماً. وتؤدي هذه المراوحة وظيفة مدحية وحماسية، لكنها تكشف أيضاً انحياز المتكلم إلى الممدوح.

٤. أثر الغلو والتهويل في جودة النص

من مظاهر الغلو إسناد النجاة والشفاعة إلى الممدوح، وتصوير النار وهي تخمد عند رؤيته، وجعل القبائل تسجد له والأسنة والشفار تحمده، وتصوير أرض العدو كلها كأنها اجتيحت بإعصار. ولا يُقرأ هذا الكلام على ظاهره الحرفي؛ فالشاعر يستخدم التهويل ليجسد قوة الممدوح واتساع أثر انتصاره، ويستثير إعجاب المتلقي وحماسته.

يسهم الغلو في جودة النص حين يتسق مع المقام الحماسي ويولد صوراً قوية، مثل «أسد... ثعالب» و«كانت جناناً... فأصابها... إعصار». لكنه قد يضعف واقعية المشهد إذا عومل بوصفه تقريراً تاريخياً، كما أن تضخيم الممدوح وتقزيم الخصم قد يحدّ من تعدد زوايا الرؤية. لذلك فالحكم متوازن: الغلو يخدم البناء الفني في هذا المقام، لكنه لا يصلح وحده معياراً لتوثيق الوقائع أو تقديرها.

موضوع الإنشاء — خطة إجابة

المقدمة: تُقديم شعر الحماسة بوصفه شعراً يصوغ مشاهد البطولة والحرب، ثم طرح الإشكال: هل تجعل الصورة والإيقاع القصيدة عبثاً بالتاريخ وبطولتها زائفة، أم أن التخييل الشعري يختلف عن التوثيق ولا ينفي بالضرورة أصل الواقعة؟

الجوهر: يُناقش جانب من القول بإبراز الانتقاء والمبالغة والانحياز إلى الممدوح، ثم يُناقش التعميم: فالقصيدة نص فني يعكس قيم عصره وتمثله للأحداث، وليست وثيقة عسكرية حرفية؛ ولا يُحكم بزيف البطولة من الصور وحدها. يُدعم الرأي بأبيات دقيقة من النص.

الخاتمة: موقف نقدي متوازن يقرّ بانحياز شعر الحماسة ومبالغته، ويرفض في الوقت نفسه مساواة كل تخييل بالتزوير؛ فالقصيدة تحفظ الذاكرة والقيم، لكنها تحتاج إلى مصادر تاريخية مستقلة عند التثبت من تفاصيل الحدث.

موضوع نموذجي محرّر

ارتبط شعر الحماسة بمشاهد الحرب والفروسية، فصوّر الشجاعة والنصر ورفع من شأن القائد والجيش. ولأن الشاعر لا يكتفي بتسجيل الحدث، فإنه ينتقي ألفاظه ويصوغ صوره وفق مقام الفخر والإعجاب والتحريض. ومن هنا يذهب رأي إلى أن قصائد الحماسة، مهما بلغت عنايتها بالصورة والإيقاع، تعبث بالتاريخ وتتغنى ببطولة زائفة. يلفت هذا الرأي إلى جانب من مبالغة المديح، لكنه

يحتاج إلى مناقشة؛ إذ لا يصح مساواة التخييل الشعري بالكذب التاريخي، ولا اعتبار كل بطولة مصنوعة.

لا شك في أن شاعر الحماسة يوجّه نظر المتلقي؛ فهو يختار من الحدث ما يرفع بطله ويقلل خصمه، ويستعين بالصورة والجرس لإثارة الانفعال. في هذا النص يكرر ابن هانئ اسم الإشارة «هذا» في مطلع الأبيات، فيثبت صفات الممدوح ويجعل صورته حاضرة في ذهن السامع. كما يجمع بين وصفه بأنه «إمام المتقين» وبين تصويره صاحب «الفتك» والسيف والجيش. ويتسع التهويل حين يصور المهزومين «حصيداً خامدين»، وحين يقول إن أرضهم التي كانت «جناناً» أصابها من جيش المعز «إعصار». وهذه الصور لا تصلح وحدها لقياس حجم الدمار؛ إنها تبني مشهداً شعرياً مكثفاً وتكشف انحياز المادح إلى ممدوحه. وكذلك فإن استبشار «الأملاك والأقطار» وامتداد الحسد إلى الأقطار كلها ينقل الثناء من وصف واقعة محدودة إلى تعظيم شامل.

غير أن ذلك لا يكفي للحكم بأن القصيدة عبث بالتاريخ أو أن البطولة زائفة. فالصورة الشعرية ليست تقريراً عسكرياً، والمبالغة أسلوب تعبيري يرمي إلى إبراز أثر البطولة لا إلى قياسه بالأرقام. كما تكشف القصيدة عن القيم التي أراد الشاعر تمجيدها، مثل الشجاعة والقيادة وحماية الجماعة وإخضاع الخصم. وتظل هذه الشهادة الأدبية نافعة لفهم خطاب عصرها ومخياله، بشرط ألا تُتخذ وحدها بديلاً من المصادر التاريخية عند التحقق من تفاصيل الوقائع. فالقصيدة قد تحفظ أسماء الأحداث وأصداءها، لكنها تعيد تشكيلها من زاوية فنية ومدحية.

وخلاصة القول إن شعر الحماسة نصّ فني منحاز إلى البطولة، وقد يبالغ في رسم القائد والعدو، كما يظهر في هذا المقطع. لكن هذا لا يجعله عديم القيمة ولا يثبت زيف البطولة من تلقاء نفسه. والأدق أن نقرأه بوصفه صياغة فنية للذاكرة تكشف عن قيم عصرها، وأن نقارن أخباره بمصادر أخرى إذا أردنا التثبت التاريخي. وهكذا نجمع بين تقدير جمال الصورة والإيقاع، والوعي بحدود القصيدة بوصفها وثيقةً عن الحدث.

الإصلاح نموذج استرشادي معلّل؛ وتُقبل الصياغات الأخرى إذا استندت إلى شواهد صحيحة وربطت الأسلوب بدلالته.